مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (32) العدد (1)2010
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (1) 2010

نظرية التلقّي وإشكاليّة المصطلح

الدكتور وائل بركات *
الدكتورة لطفية برهم
نضال القصيري ***

(تاريخ الإيداع 19 / 11 / 2009. قبل للنشر في 2 / 2 / 2010)

□ ملخّص □

يرمي هذا البحث إلى مقاربة مصطلح نظرية التلقي التي انطلقت من مدرسة كونستانس الألمانية على يد هانس روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) وڤولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser)، ولاسيما أن كثرة الدراسات النقدية التي دارت حول هذه النظرية أفرزت إلى الساحة النقدية العديد من المصطلحات التي استخدمت للتدليل على التلقي كالقراءة والاستجابة والاستقبال وغيرها في الخطاب النقدي المعاصر؛ لذا، توجّه هذا البحث إلى محاولة ضبط هذا المصطلح وتحديد مفهومه متّكئاً بالدرجة الأولى على أهمَّ مؤسسيه ياوس وإيزر.

الكلمات المفتاحية : التلقّي ، القارئ ، التأثير ، التفاعل ، الأفق ، الذات.

* أستاذ – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق–دمشق –سورية.
** أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين–اللاذقية –سورية.
*** طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تشرين–اللاذقية –سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (32) العدد (1)2010
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (1) 2010

Théorie de la réception et problématique de la terminologie

Dr. Wael Barakat*
Dr. Loutifeh Barham**
Nidal Alkousairy***

(Déposé le 19 / 11 / 2009. Accepté 2/2/2010)

□ Résumé □

Cette étude vise à approcher la terminologie de la Théorie de la réception, fondée à l'école Constance en Allemagne par Hans Robert Jauss et Wolfgang Iser. Les nombreuses études effectuées sur cette théorie ont fourni une terminologie multiple qu'on utilise afin de désigner des concepts tels que la réception, la lecture, la réponse, et d'autres dans la critique contemporaine. Voilà pourquoi, cette étude se propose comme objectif de déterminer la terminologie de cette théorie et sa signification, se basant sur les travaux de ses principaux fondateurs, à savoir Jauss et Iser.

Mots-clés : *réception, lecteur, influence, action, horizon, être*.

*Professeur ès Lettres Arabes au Département d'Arabe à l'Université de Damas.
**Maître de conférences ès Lettres Arabes au Département d'Arabe à l'Université Tichrine.
***Étudiante de Doctorat en Littérature Arabe au- Département d'Arabe à l'Université Tichrine.

مقدّمة:

أهملت المقاربات النقدية والأدبية – ولحقبة طويلة – الأقنوم الثالث من أقانيم العملية الإبداعية ألا وهو القارئ الذي يُعَدّ بحقٍّ طرفاً رئيساً وأساسياً في إنتاج النص الأدبي؛ فضلاً عن دوره الاستراتيجي في تفعيله وإضفاء الحياة عليه بعد إخراجه من الحالة الكمونية إلى حالة التحقّق؛ بتحليله وتأويله والكشف عن معناه، بل والمشاركة في كتابته ((بما يستنبطه منه، وبما يضيفه إليه))[1]، فينقله من حالة الوجود بالقوّة إلى حالة الوجود بالفعل.

وقد كان لتعدّد المناهج النقديّة في أواخر القرن العشرين دورٌ مهمٌ في تقويض كلٍّ من سلطتي المؤلف والنصّ على السّواء بعد أن أدركت أن الوجود الإبداعي للنصّ الأدبي لا يتحقّق إلا بحضور القارئ؛ وبذلك ظهرت نظرية التلقي بوصفها ردّ فعلٍ على المدارس الكلاسيكية التي بدت قاصرة – إلى حدّ ما – في دراسة الظاهرة الأدبية.

من هنا، يمكن للمرء ((أن يمرحل تاريخ النظريّة الأدبيّة الحديثة وبصورة تقريبيّة جداً في ثلاث مراحل : مرحلة الانشغال بالمؤلف (الرومانتيكية والقرن التاسع عشر)؛ مرحلة الاهتمام الحصري بالنصّ (النقد الجديد)؛ ومرحلة انزياح الاهتمام بشكل ملحوظ باتجاه القارئ [...] إذ من دونه أو من دونها لن يكون هنالك أية نصوص أدبيّة على الإطلاق. فالنصوص الأدبيّة [...] سيرورات تدليل (signification) لا تتجسّد ماديّاً إلا في ممارسة القراءة))[2]. وهكذا، ارتبط التوجّه إلى فعل القراءة وفاعلها بمناهج نقديّة هي :

– البنيوية (Structuralism) : التي أعلن رائدها رولان بارت Roland Barthes ولادة القارئ وموت المؤلف، وفي هذا السياق يقول : ((إن ميلاد القارئ يجب أن يكون على حساب موت المؤلّف))[3].

– نظريّة التلقي (Reception theory) : التي جعلت القارئ ((قوة مسيطرة تمنح النصّ الحياة، وتعيد إبداعه من جديد، وبهذا تصبح القراءة عمليّة إنتاجيّة لا مجرّد عمليّة تلقٍّ واستهلاك فحسب))[4].

– التفكيكية (Deconstructionism) التي قالت : ((بمشروعية القراءات اللانهائية، ذلك أن النصّ يحفل بالفجوات، وبمناطق الصمت التي ينبغي على القارئ أن يملأها، وهذا ما يجعل القارئ يقوم بمهمّة كتابة النصّ ثانية))[5]. وبذلك أصبحت نظرية القراءة أو التلقي من أهمّ النظريّات التي هيمنت على الساحة النقدية في النصف الثاني من العقد السابع من القرن الماضي؛ وكانت انطلاقتها من مدرسة كونستانس الألمانية (Constance) على يد هانس روبرت ياوس (Hans Robert Jauss) و ڤولفغانغ إيزر (Wolfgang Iser) اللذين وصل تأثيرهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فعلى أيديهما احتل فعل القراءة مكاناً مرموقاً في الساحة النقدية، وأصبح القارئ

---

[1] عزّام، محمد : "*النص المفتوح، التفكيك أنموذجاً*"، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، العدد 398، عام 2004، ص 52.

[2] إيغلتون، تيري : *نظريّة الأدب*، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1995، ص ص 131، 132.

[3] كيرزويل، أديث : *عصر البنيوية* من ليفي شتراوس إلى فوكو، ترجمة جابر عصفور، وزارة الإعلام، بغداد، العراق، 1985، ص285.

[4] عزّام، محمد : "*النص المفتوح، التفكيك أنموذجاً*"، ص ص 52 ، 53.

[5] المرجع نفسه : ص 53.

تنويه :

- وردت أسماء الأعلام بأشكال مختلفة لدى النقاد مثل (ڤولفغانغ، ڤولفجانج...) ، وهذا قد يعود إلى عملية الترجمة؛ لذلك اقتضت منا الأمانة العلمية أن نثبت هذه الأسماء كما جاءت لدى هؤلاء النقاد، أما نحن فقد اعتمدنا شكلاً واحداً لهذه الأسماء، ووضعنا إلى جانبه الاسم كما ورد في لغته الأصلية.
- جميع المقبوسات المدروسة نقلت بحرفيتها وبما قد تحتويه من أخطاء لغوية في بعض الأحيان.

منتجاً بعد أن كان لسنوات طويلة مستهلكاً فحسب؛ وبذلك أحدثت هذه النظرية ((تحوّلاً شاسعاً في طبيعة النقد وطريقة التعامل مع النصوص، فأضحى النّقد علماً في السؤال قبل الإسراع في عمليّة طرح الإجابة، كما أصبح همّ المتلقي [...] معرفة السبل أو الطرائق التي شكّل بها النصّ نفسه؛ لذا فقد تعدّدت اتجاهات التلقي وتشعّبت إلى قراءات وتلقيّات موصوفة : بنيوية، وتفكيكيّة، وأسلوبيّة، وسيميائية، إلخ، وحتى تأويليّة جديدة كآخر موضة أو تقليعة من تقليعات ما بعد الحداثة "Post Modernism"))[6].

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى محاولة ضبط مصطلح "نظرية التلقّي" وتحديد مفهومه، بعد أن عانى هذا المصطلح الكثير من الفوضى والاضطراب والقلق، وربما يعود ذلك إلى عملية الترجمة؛ لأن معظم الدراسات النقدية التي قاربت هذه النظرية الألمانية الأصل والنشأة أخذت عن لغة وسيطة غير اللغة الألمانيّة.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي؛ لأنه يسمح بتناول مختلف التيارات النقدية، وفي أثناء تناولنا للآراء النقدية التي دارت حول مصطلح "نظريّة التلقي" كنا نقوم بتحليلها ومقارنتها مع غيرها، ونثبت رأينا معللاً، ثم نصل إلى النتائج العامّة التي نحصل عليها من خلال مقاربة هذه الآراء.

النتائج والمناقشة:

شهدت الدراسات النقدية الحديثة إقبالاً شديداً على هذه النظريّة بعد أن أدركت أهميّة القارئ بوصفه القطب الثالث من أقطاب العملية الإبداعية؛ غير أن تلك الدراسات عانت اضطراباً وتخبطاً وقلقاً في ضبط المصطلح، فهو ليس موحداً عند جميع النقاد، وربما يعود ذلك في الدرجة الأولى إلى عمليّة الترجمة؛ إذ إنّ معظم الكتب والمقالات التي قاربت نظريّة التلقي أخذت عن لغة وسيطة غير الألمانيّة، وفي الواقع، إن الخوض في قضية المصطلحات أمر ليس باليسير، غير أن عملية ضبط المصطلح وتحديد مفهومه يُعَدّ خطوة مهمة ورئيسة لأي باحث في مجال النقد.

من هنا، وجدنا لزاماً علينا تقديم تصوّر لهذا المصطلح بعد مقاربة أغلب الآراء النقديّة التي دارت حوله، وكما ورد لدى مؤسسي نظريّة التلقي ولا سيما ياوس وإيزر.

1- **التلقي لغة :**

الاستقبال، تلقاه أي استقبله، وفلان يتلقى فلاناً أي يستقبله، والرجل يُلقّي الكلام أي يُلقّنه[7]. وفي المعجم الوسيط : لقيه – لقاءً ، وتِلْقاءً، ولُقِيّا، ولُقْياناً، ولُقْيَةً : استقبله. وألقى عليه القول : أملاه، وهو كالتعليم[8]. وقد ورد لفظ التلقي في التنزيل العزيز في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى : ((وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو

---

[6] عليمات، يوسف محمود : "*بلاغة الانتظار بين التأويل والتلقي* "، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، المجلد 12، الجزء 46، العام 2002، ص ص 451 ، 452.

[7] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة لقا، ص 256.

[8] مجموعة من المؤلفين : *المعجم الوسيط*، مجمّع اللغة العربية، مصر، ط 3، 1993، مادة لقو ، ص 869.

حظ عظيم))[9]؛ أي ((ما يُعَلّمها ويوفّق لها إلا الصابر))[10]. وقوله تعالى : ((إذ تلقّونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم))[11]، أي ((يأخذ بعضٌ عن بعضٍ))[12]، ولا يخرج معنى الآية التالية في قوله تعالى عن السابقة: ((إذ يَتَلقّى المتلقّيانِ عن اليمين وعن الشمال قعيد))[13]. وأما قوله تعالى : ((فتَلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه إنه هو التوّاب الرحيم))[14]، فمعناه ((أنه أخذها عنه [...] أي تعلمها ودعا بها))[15].

من هنا، نلحظ أن لفظ التلقي كما ورد في الآيات السابقة لم يخرج عن دلالة التعليم والإملاء والتوفيق، فضلاً عن دلالة الاستقبال.

2- **التلقي اصطلاحاً :**

على الرغم من أن مصطلح التلقّي (Reception) حديث العهد نسبياً في الساحة النقديّة؛ لأنه لم يظهر إلا في بداية السبعينيات من القرن العشرين، إلا أنه حظي باهتمامٍ كبير من النقاد، وربما يعود ذلك إلى تغيّر في نموذج الثقافة الأدبية التي أفرزت حقلاً معرفياً جديداً جاء ليواكب التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية. وهذا ما عبّر عنه ياوس في دراسة له – معنونة بـ "التغيّر في نموذج الثقافة الأدبية" – ((ألمّ فيها بالخطوط الأساسيّة لتاريخ المناهج الأدبية، منتهياً إلى أن الزمن يؤذن بقيام تحوّل فكري جذري فيما يتعلّق بمنهج الدراسة الأدبية؛ وذلك بظهور نموذج فكري جديد يخلف النماذج المتعاقبة التي استنفدت أغراضها مع مضي الزمن الواحد بعد الآخر. وقد أصبح من الواضح أن نظرية التلقّي تمثّل ذلك النموذج الجديد...))[16]. أو كما يسمّيها ياوس "جمالية التلقّي".

وقد وردت في الدراسات النقدية الحديثة – ولاسيّما في السنوات الأخيرة – مصطلحات عدّة للتعبير عن التلقّي، أكثرها شيوعاً: نظريّة التلقي، نظرية الاستقبال، نظرية التأثير والاتصال، نظرية القراءة، نقد استجابة القارئ، نظرية جمالية التجاوب وغيرها.

ولعلنا في قراءتنا للمصطلحات التي قاربت مفهوم التلقّي كما وردت عند النقّاد نزيل اللبس والغموض الذي اكتنف هذا المصطلح، ونتوصّل إلى تحديدٍ له، على الرغم من الصعوبة الكامنة في تحديد ما يعنيه هذا المصطلح تحديداً دقيقاً، وهذا ما أكّده معظم النقّاد. ولعلّ أهمّ كتاب تناول نظريّة التلقي هو Reception Theory - A Crtical Introduction لمؤلفه روبرت هولب Robert Holub الذي تمّت ترجمته مرتين، الأولى قام بها رعد عبد الجليل جواد عام 1992، والثانية عز الدين إسماعيل عام 1994، غير أن الأول ترجم عنوان الكتاب بـ (نظريّة الاستقبال – مقدمة نقديّة)، في حين ترجمه الثاني بـ (نظريّة التلقي – مقدمة نقديّة) مفضّلاً استخدام كلمة التلقّي بدلاً من كلمة الاستقبال، مع أن الترجمة الحرفيّة – كما يقول – هي نظريّة الاستقبال، إلا أن كلمة التلقّي ((أقرب إلى الدلالة

---

[9] القرآن الكريم : سورة فصلت، الآية 35.

[10] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة لقا، ص 256.

[11] القرآن الكريم : سورة النور، الآية 15.

[12] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة لقا، ص 256.

[13] القرآن الكريم : سورة ق، الآية 17.

[14] القرآن الكريم : سورة البقرة، الآية 37.

[15] ابن منظور : *لسان العرب*، مادة لقا، ص 256.

[16] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي، مقدّمة نقديّة*، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، رقم السلسلة 97، ط 1، 1994، ص ص 8 ، 9 ، مقدمة المترجم.

المقصودة وهي تلقّي القارئ للنصوص الأدبيّة))[17]. وفي هذا الصدد يقول ياوس : ((ولئن كانت كلمة Rezeptionasthetik الألمانية توحي للأسف بسوء فهم محتوم، فإن كلمة réception الفرنسية أو Reception الإنجليزية لا تستعمل إلا في لغة الصناعة الفندقية))[18]. ومع ذلك فإن نظريّة التلقي لم تترك جانباً من جوانب الاهتمام الأدبي لم تؤثّر فيه، وقد ((أثّرت كذلك في بعض النظم المتاخمة، مثل علم الاجتماع وتاريخ الفن))[19].

ويرى روبرت هولب أن الاختلاف بين التلقّي Reception والاستجابة Response (أو الفاعليّة والتأثير حسب ما يترجمها بعضهم) من أكثر المعضلات التي تعترض الباحث؛ إذ ليس من الممكن الفصل التّام بينهما ((فكلاهما يتعلّق بما يحدثه العمل في شخص ما من أثر [...] ومع ذلك فإن أكثر وجهات النظر شيوعاً كانت ترى أن التلقّي يتعلّق بالقارئ، في حين يفترض في الفعاليّة أن تختصّ بالمعالم النصيّة))[20].

ولكي يتغلّب هولب على بعض الاضطراب في المصطلح يحاول تبسيطه قائلاً : ((إن نظريّة التلقي تشير على الإجمال إلى تحوّل عام من الاهتمام بالمؤلف والعمل إلى النصّ والقارئ؛ ومن ثم فإنها تستخدم بوصفها مصطلحاً شاملاً يستوعب مشروعات ياوس وإيزر كليهما، كما يستوعب البحث التجريبي والاشتغال التقليدي بموضوع المؤثرات))[21].

ويترجم الناقد حسين الواد مصطلح جماليّة التلقّي عن اللغة الفرنسيّة L'esthétique de la réception بـ "جماليّة التقبّل" مكتفياً بالقول إن نظريّة جماليّة التقبّل نشأت في ألمانيا الغربيّة في جامعة كونستانس، وأشهر ممثليها هو هانس روبرت ياوس ((الذي بلور لها مفاهيمها الأساسية، وهو الذي رجع إليها بالتعديل والمناقشة والتطوير كلّما استصوب حجج معارضيه من النقاد الباحثين))[22]. ثم يقدّم موجزاً صغيراً عن مفهوم هذه النظرية لدى ياوس من دون أن يأتي على ذكر ڤولفغانغ إيزر الذي يعدّ قطباً أساسياً من أقطاب نظريّة التلقي. ويختم بحثه بأن يقف موقفاً توفيقياً من الاتجاهات النقدية التي قاربت النصّ الأدبي، فيقول : ((فالأبحاث التي ربطت الآثار الأدبيّة بظروف نشأتها محقّة جداً في مؤاخذة الاتجاهين الشكلاني والبنيوي على الهروب من التاريخ؛ والأبحاث الشكلانية والبنيوية بأنواعها، محقّة جداً في اتهام "أبحاث النشأة" بالمغالطة في السّعي إلى نقل الفكرة [...] من لغة الفن إلى لغة الفلسفة والاجتماع، وأبحاث "جمالية التقبّل" محقّة جداً، هي أيضاً، في اتهام الأبحاث الأخرى بإهمال "القراءة" والجمهور))[23].

إن ما يؤخذ على الناقد حسين الواد موقفه التوفيقي هذا من الاتجاهات النقدية التي قاربت النصّ الأدبي، فهو لم يقدّم رؤيته لنظرية التلقّي، ولم يسعَ إلى تحديد مفهوم واضح لهذا المصطلح، مكتفياً فقط بترجمته إلى العربية.

وتؤكّد الناقدة نبيلة إبراهيم أنّ النظريات النقديّة الحديثة تبحث عن منهج لاستقبال القارئ للنصّ قبل الشروع في عملية القراءة، وأن العلاقة بين النص والقارئ تسير في اتجاه واحد من النص إلى القارئ ((وتتم عملية الاستقبال عندما يفك القارئ شفرات النصّ، وفقاً لاتجاه من الاتجاهات النقدية السائدة، مثل الاتجاه البنيوي، أو السيميولوجي، أو

---

[17] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، هامش ص 31.

[18] ياوس، هانس روبرت : جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ص 101.

[19] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، هامش ص 32.

[20] المرجع نفسه : ص 32.

[21] المرجع نفسه : ص 33.

[22] الواد، حسين : " *من قراءة "النشأة" إلى قراءة "التقبّل"* "، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 5، العدد 1، العام 1984، ص 118.

[23] الواد، حسين : " *من قراءة "النشأة" إلى قراءة "التقبّل"* "، ص 119.

الاجتماعي، أو غير ذلك من المناهج. أما نظرية "إيزر" فترى أن عمليّة القراءة تسير في اتجاهين متبادلين؛ من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص [...] عندئذ تكون عمليّة القراءة قد أدّت دورها، لا من حيث إن النص قد استقبل، بل من حيث إنه قد أثّر في القارئ وتأثر به على حدّ السّواء. ولهذا فإن أصحاب هذه النظرية لا يسمّون نظريتهم نظرية الاستقبال، بل يسمّونها نظرية التأثير والاتصال Wirkungs und Communikations Theorie))[24]. ثم تعمد الباحثة إلى التفريق بين نظريتي الاستقبال والتأثير، فتقول إن نظرية الاستقبال ((تُعنى بالحكم على النصّ في ظروف تاريخية محددة، وهي تضع في حسبانها المعنى المستخلص من المعايير التي تنبثق من أفق توقعات القارئ، ومعنى هذا أن نظرية الاستقبال تظلّ تحتفظ بثنائية القارئ والنصّ. أمّا نظرية التأثير فهي تلغي الثنائية بين الذات والموضوع، ليحل محلّها التأثير الجمالي الذي ينجم عن التداخل بل الالتحام بينهما [...] وهي تلغي تثبيت المعنى، أو حتى التوقف للربط بين النصّ والواقع المعيش؛ وإنما تدور العمليّة، من أولها إلى آخرها، بين بعدين : بعد فنّي [...] وبعد جمالي [...] وكلا البعدين يذوب في الآخر في خلال عملية التأثير))[25].

من الواضح أن الناقدة أخطأت مرتين : الأولى عندما خصّت نظرية الاستقبال بالمؤسس الأول لنظريّة التلقي (ياوس) ونظرية التأثير بـ (إيزر) لأن مشروعي هذين الناقدين هما في الأصل مشروع واحد – وسنوضّح ذلك لاحقاً – ، والثانية عندما رأت أن نظرية الاستقبال تحتفظ بثنائية الذات والموضوع، وقد أكّد ياوس غير مرة أنه لا يوجد فصل بين أفق العمل الأدبي وأفق التلقي، وهذه الفكرة كان قد أخذها عن هانس جورج غادامر Hans Georg Gadamer الذي يسلّم بأحاديّة الأفق ويرى أن فكرة الأفق المستقلّ للنصّ الأدبي هي ((فكرة خادعة، فليس هناك خط فاصل بين الأفق الماضي والأفق الحاضر))[26]. ويذهب ياوس إلى أن ((الأدب والفن لا ينتظمان في تاريخ نسقي إلا إذا نسبت سلسلة الأعمال المتوالية لا إلى الذات المنتجة وحدها، وإنما إلى الذات المستهلكة أيضاً؛ أي إلى التفاعل بين المؤلف والجمهور))[27]؛ والتفاعل كما هو معروف تأثر وتأثير، والتأثير ((لا بدّ أن يسبقه تلقٍّ [...] والتلقّي عمليّة إيجابيّة تتمّ وفقاً لحاجات المتلقّي وبمبادرة منه وفي ضوء أفق توقعاته. [...] فالتلقّي حلقة سابقة للتأثير والتأثر، وهي ليست حلقة ثانوية، بل حلقة أساسية يكون فيها المتلقّي طرفاً فاعلاً وإيجابياً وديناميكياً))[28]. وهذا يعني أن العلاقة بين النصّ والقارئ تسير في اتجاهين اثنين من النصّ إلى القارئ ومن القارئ إلى النصّ، سواءٌ أحملت النظرية اسم نظرية الاستقبال أم نظرية التأثير؛ وبذلك تكون العلاقة بين أفق العمل الأدبي وأفق المتلقي قائمة على التداخل والتلاحم والتفاعل والتجادل، وهذا ما أطلق عليه ياوس مصطلح "انصهار الآفاق".

---

[24] إبراهيم، نبيلة : "*القارئ في النص، نظرية التأثير والاتّصال*"، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 5، العدد 1، العام 1984، ص ص 101 ، 102.

[25] المرجع نفسه : ص 102.

[26] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، ص 125.

[27] ياوس، هانس روبرت : جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي
L'esthétique de la réception pour une nouvelle interprétation du texte littéraire
ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2004، ص 35.

[28] عبّود، عبده : *الأدب المقارن مشكلات وآفاق*، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سورية، 1999، ص 54.

ومصطلح التلقّي كما يقول إيف شيفْريل هو من ((أصل فرنسي ولاتيني، عاد إلينا من ألمانيا Rezeption وانتشر في عدد من اللغات الأوروبية، ففي اللغة النيرلاندية[29] Receptie ، وفي البولونية Recepcja))[30]، وفي الفرنسية Réception ، وفي الإنكليزية Reception، إلخ.

أما الناقد حاتم عبد العظيم فيعلن رفضه الخوض في قضية المصطلحات لأن معظم الدراسات التي قاربت النصوص الأدبيّة من وجهة نظر القارئ ((ظلّت معلقة في فضاء المصطلح النقدي دون إمساك أو تلمّس فعليّ لإجراءات ذلك المصطلح))[31]، لكنه لا يلبث أن يؤكّد أن ((مصطلح التلقّي Reception أحاط به العديد من المفاهيم والمصطلحات التي تنتمي إلى حقول معرفيّة تهتمّ بالمرجع الخارجي للنصّ والقارئ معاً، مثل التحليل النفسي والاستجابة والمثير ورد الفعل Reaction ، وغير ذلك من مصطلحات تنتمي – في أحيانٍ أخرى – إلى النماذج التواصليّة كالمرسِل والمرسَل إليه وعمليّة الاستقبال، وكل هذه المصطلحات والمفاهيم تركّز على الذات القارئة من حيث هي ذات تجريبيّة متعيّنة أو مشخّصة، لا من حيث هي أفق يمكن الوصول إليه لتشييد معنى النص))[32]. ويكتفي بذلك في مقاربته للمصطلح معلّلاً ذلك بإشكالات القراءة، وبأن نظريّة التلقي جاوزت أفق النصوص المكتوبة إلى أجناس أخرى تنتمي إلى الفن، ويرى أن أهم إنجاز لنظرية التلقّي هو عدّ القارئ العنصر الرئيس والفعّال في عملية فهم النص وتشييد معناه.[33]

ويرى الناقد إبراهيم السعافين أن نظريّة التلقي هي ((مصطلح يستخدم بشكل عام بمفهوم ضيّق نسبياً لوصف مجموعة معيّنة من المنظّرين الألمان على وجه الخصوص، هذه المجموعة معنيّة بالطريقة التي يستقبل بها القرّاء الأعمال الأدبيّة على مرّ الزمن. بيد أنها تستخدم أحياناً بمفهوم فضفاض أيضاً لوصف أيّة محاولة للتنظير للطرق التي يعمل الفن من خلالها وكيفيّة استقبال المتلقّين أو المستهلكين فرديّاً وجمعيّاً. والأعضاء الرئيسيون [...] لهذه المجموعة المعيّنة من المنظّرين هم هانز روبرت ياوس، وڤولفجانج إيزر، وكارل هاينزشتيرله))[34]،وهارلد فينرش. ويحيل هذا المصطلح الألماني – الذي استخدمه منظرو التلقّي – إلى ((فعاليّة القراءة، وإنتاج المعنى واستجابة القارئ لما يقرأ))[35].

إن التدفّق الاصطلاحي الذي يصل حدّ العشوائية لنظريّة التلقي حسب تعبير الناقد ناظم عودة خضر بعضه اجتهادي يختصّ ((بتعديل المصطلح، والبعض الآخر نابعٌ من النظرية نفسها))[36]، لهذا يُعَدّ مصطلح التلقّي قاسماً مشتركاً ((للنظريات النقديّة كلها وأن إضافة النظرية إليه لا تعطيه تخصيصاً))[37]، غير أن مصطلحات مثل (القراءة،

---

[29] الهولنديّة.

[30] شيفْريل، إيف : "*دراسات التلقّي*" في كتاب : *في نظريّة التلقي*، ترجمة غسان السيّد، دار الغد، دمشق، سورية، ط 1، 2000، ص 27.

[31] عبد العظيم، حاتم : "النص السردي وتفعيل القراءة"، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلّد 16، العدد 3، العام 1997، ص 82.

[32] المرجع نفسه : ص 82.

[33] ينظر : المرجع نفسه : ص ص 82 ، 83.

[34] السعافين، إبراهيم : *جماليات التلقّي في الرواية العربيّة المعاصرة*، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 16، العدد 3، العام 1997، ص 95.

[35] المرجع نفسه : ص 95.

[36] خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقي*، دار الشرق، عمّان، الأردن، ط 1 1997، ص 14.

[37] المرجع نفسه : ص 14.

الاستجابة، الاستقبال، التقبّل) وحتى مصطلح الجماليّة – لوحده – يسقطها الناقد جميعها لأنه يجدها غير مناسبة، ثم يقترح تثبيت مفهوم جمالية التلقّي ، وذلك ((لإشارة هذه الجمالية إلى هوسرل وإنغاردن في دعوتهما إلى إنتاج المعنى من خلال الذات الفاهمة للظواهر، ولاشتمال "التلقّي" على العموم أولاً، وعلى الحيادية التي تتطور باتجاه إعادة بناء المعنى من خلال الخبرة والإدراك ثانياً))[38]؛ وبذلك يكون الناقد قد اختار مصطلحاً معيّناً من المصطلحات الكثيرة الموجودة في الساحة النقديّة التي ((ليست في الحقيقة سوى ترجمات مباشرة لمصطلح rezeptionsasthetik))[39] الألماني، من دون أن يشير إلى دلالة هذا المصطلح والمشكلات التي يثيرها حوله.

أما الناقد محمد المبارك فيؤكّد صعوبة الفصل بين الألفاظ التي استخدمت للتدليل على التلقّي (القراءة، الاستقبال، الاستجابة...)، ويفترض أن المتلقّي هو المستجيب للنصّ والقارئ له والفاهم والمتقبّل والمخاطَب والمرسل إليه...، ويخلص إلى وجود أربعة مصطلحات أساسية مستخدمة في الدراسات الأدبية، وغير ذلك فهو مرادف أو تابع لها وهي : التلقّي، القراءة، الاستقبال، الاستجابة، ويلاحظ ((أن المصطلحات الثلاثة الأخيرة دون الأول هي الشائعة في الدراسات الحديثة عند (إيزر) و (ياوس) وآخرين، و [...] أن المصطلح الأساسي الذي يمكن أن يكون جامعاً لها هو التلقّي، ففي كل لفظ من الألفاظ الثلاثة علاقة لا انفصام لها بالتلقّي. وانطلاقاً من هذا الفهم وبناءً عليه يمكن القول : إن التلقّي هو النظريّة الأدبيّة التي تضمّ العناصر الثلاثة في رباط قوي))[40].

ويعمل الناقد محمد مليّاني على تحديد معنى التلقّي معجمياً، ويستشهد بآيات من الذكر الحكيم منتهياً إلى أنّ لفظ التلقّي في القرآن الكريم جاء للدلالة على ((التعليم والتلقين والتوفيق [...] والاستعمال القرآني لمادة التلقّي إشارة على عمليّة التفاعل النفسي والذهني مع النص، لأن لفظ التلقّي يرد مرادفاً لمعنى الفهم والفطنة))[41]، ثم ينتقل بعد ذلك ليشير إلى أن تراثنا الفكري العربي مليء بمفردات تماثل مصطلح التلقّي مثل السّامع والمستمع والجمهور والمخاطَب، وإن هذه المصطلحات كانت الأساس الذي تُبنى عليه العمليّة الإبداعيّة في نقدنا القديم[42]. وبعد أن ينأى بنفسه عن نقل مفهوم التلقّي من دلالته اللغوية إلى فضاءات جديدة – على حدّ قوله – يرى أن هذه المهمة منوطة بالمعاجم الحديثة والمشتغلين في هذا المجال، ولاسيّما أن هذه الفضاءات الجديدة ((اكتسبت بعداً نظرياً وجمالياً في الدراسات النظريّة والنقديّة المعاصرة كما هو الشأن في المعاجم الألمانيّة، مراعين في ذلك التمايز الموجود بين طبيعة النص العربي وطبيعة النص الغربي ودلالاتها التعبيرية، وكذا خصائص اللغة العربية))[43]، من دون أن يوضّح أو يشرح لنا ماذا يعني بهذه الفضاءات الجديدة مكتفياً بالإشارة إلى أن نظريّة التلقي التي انطلقت من مدرسة كونستانس تُعَدّ رافداً مرجعياً مهماً للباحثين في هذا المجال.

أما الناقد عبد الكريم شرفي فيثبت مصطلح جمالية التلقي – والتسمية لـ ياوس كما أسلفنا –، ويرى أن هذا المصطلح لا يحيل إلى نظرية واحدة، بل ينضوي في حقيقته على نظريتين مختلفتين يمكن التمييز بينهما هما نظرية

---

[38] المرجع نفسه : ص ص 15 ، 16.

[39] شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة*، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر – الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2007 ، ص 147.

[40] المبارك، محمد : *استقبال النصّ عند العرب*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص 30.

[41] مليّاني، محمد : "*تلقّي النص الأدبي بين التأسيس والآفاق* "، الموقف الأدبي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سورية، العدد 403، العام 2004، ص ص 45 ، 46.

[42] ينظر : مليّاني، محمد : "*تلقّي النص الأدبي بين التأسيس والآفاق* "، ص 46.

[43] المرجع نفسه : ص 48.

التلقي التي أسسها ياوس ونظرية التأثير التي أسسها إيزر. فنظريّة التلقي تهتم ((بالكيفية التي يتمّ بها تلقي النص الأدبي في لحظة تاريخية معيّنة، ولذلك [...] ترتكز على شهادات المتلقين بشأن هذا النص [...]، وعلى أحكامهم وردود أفعالهم المحدّدة تاريخياً، [...] وتوجّهها هذا هو ما يبرّراعتمادها على المناهج التاريخيّة والسوسيولوجيّة. أما نظرية التأثير، فإنها تعتقد أن النص يَبني بكيفيّة مسبقة استجابات قرائه المفترضين، ويحدّد بكيفيّة قبليّة سيرورات تلقيه الممكنة، ويثير ويراقب كل واحدة منها بفضل قدرات التأثير التي تحركها بنياته الداخليّة. ومن هنا راحت تركّز على النص في حد ذاته من حيث التأثيرات التي يمارسها مستندة في ذلك على المناهج النظريّة والنصيّة))[44]. ولعلّ هذا المفهوم لمصطلح جمالية التلقي لم يتجذّر في ذهن الناقد؛ إذ نراه يعترف بقصور المصطلح في التدليل على النظريات التي تندرج ضمنه، فالمصطلح إشكالي، وتكمن إشكاليته في عدم القدرة على الجمع بين مفهومي التأثير والتلقي ضمن مصطلح واحد هو جمالية التلقي، وقد أشار إيزر نفسه إلى ذلك عندما قال : ((لا شك أن ما يعرف اليوم بجمالية التلقي [...] ليس نظرية موحدة كما يوحي بذلك اسمها. حقاً إن المفهوم يستلزم تيارين أساسيين من التفكير يمكن تمييز أحدهما عن الآخر بوضوح رغم تداخلهما. فالتلقي يركّز على السيرورة التوثيقيّة للنصوص، ويرتبط أساساً بردود الأفعال والمواقف التي تكيف استجابات القارئ، ولكن النصّ نفسه هو في نفس الوقت شكلٌ مسبقٌ مُبَنْيَنٌ لتلك الاستجابات، بحيث يدمج قدرة الوقع الذي يبدأ السيرورة، ويُبَنْيُنها إلى درجة ما))[45].

وبعد أن يغضّ الناقد النظر عن هذا العجز الدلالي للمصطلح، يشير إلى أن منظّري مدرسة كونستانس الألمانية يؤكّدون على التعالق والتداخل بين التأثير[46] ((باعتباره بنية تستدعي الاستجابة، و[...] التلقي، باعتباره عمليّة انتقائية ينجزها القارئ الفعلي))[47].

ويخلص الناقد إلى أن ((جماليّة التلقّي بسبب ازدواجية مفهومها [...] تركّز [...] اهتمامها على "العلاقة الجدليّة" بين التأثير والتلقي [...] دون أن تختزل هذه العلاقة في أحد طرفيها على حساب الطرف الآخر كما تفعل جلّ المقاربات الأخرى. [...] وتنظر إلى هذه العلاقة باعتبارها علاقة تحاوريّة ومتبادلة بين التأثير الذي يمارسه النص والتلقي الذي يمارسه المتلقي))[48]. وهذا ما عبّر عنه روبرت هولب عندما أشار إلى أن نظريّة التلقي تدعو إلى ضرورة دراسة الأدب ((بوصفه عمليّة جدل بين الإنتاج والتّلقي))[49]، أو بين البنية النصّية والقارئ. فالنصوص الأدبية وفقاً لجماليّة التلقي عند إيزر لا يُنظر إليها ((كبنيات تقدّم المعنى جاهزاً للقارئ. إنها [...] تقترح أبنية لتوليد معاني محتملة، ولذلك فهذه الأبنية المقترحة نفسها معروضة ومكيفة لإدماج القارئ ليعيد بنْيَنَتها من جديد انطلاقاً من فعاليته الذهنيّة الخاصّة. هكذا تصبح البنية الذهنيّة للقارئ أثناء فعل القراءة جزءاً لا ينفصل عن بنية النصّ نفسه. وكل معنى ناتج عن

---

(44) شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص 143.

(45) إيزر، فولفجانج : "*آفاق نقد استجابة القارئ* "، (*Reader Response Criticism Perspective*)، ترجمة أحمد بو حسن، *في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2004، ص 69.

(46) ينظر : شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص 144.

(47) إيزر، فولفجانج : "*آفاق نقد استجابة القارئ* " ، ص 70.

(48) شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص 145.

(49) هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، ص 152.

التفاعل التجاوبي، هو نتاج جديد لا يطابق النص ولا القارئ، إنه حصيلة اندماج معطيات البنية الذهنية وتفاعلها مع بنية النصّ))[50].

يكشف الشاهد السابق أن إيزر لم يغفل بُعد التلقي، بل ركّز على عمليّة التداخل والتفاعل والاندماج بين النص والقارئ. ونجد المسألة نفسها لدى ياوس، فهو لم يُعنَ فقط بالتاريخ بل كان ((يسعى إلى إنشاء علاقات بين الإنتاج الأدبي والتاريخ العام))[51]، أي بين علم الجمال والتاريخ، ويلحّ على ((دراسة التفاعل بين الجمهور والنصوص))[52]، فجوهر العمل الفني بحسب نظريّة التلقي عند ياوس يقوم على ((أساس تاريخانيّتة أي على أساس الأثر الناشئ عن حواره المستمر مع الجمهور))[53].

ويختم الناقد مقاربته للمصطلح بالإشارة إلى أهم مظاهر الاختلاف بين ياوس و إيزر فيقول : ((إن الناظم لأفكار ياوس هو التاريخ، سواء تاريخ الأدب نفسه أم علاقته بالتاريخ العام [...] بينما يتّجه إيزر وجهة أخرى فيركّز على نظرية التأثير الجمالي، وينصبُّ كل جهده على تشريح عمليّة القراءة ذاتها))[54].

هذا، وقد أسهب روبرت هولب في توضيح وجوه الاختلاف بين منهجي كلٍّ من ياوس وإيزر بعد أن أكّد اتفاقهما على جعل علاقة النص/القارئ هي محور الاهتمام، وغضَّ النظر عن علاقة المؤلف/النصّ. ويُبرزُ هولب وجوه هذا الاختلاف فيقول ((حين تحرك ياوس [...] نحو نظريّة التلقي من خلال اهتمامه بتاريخ الأدب، برز إيزر [...] من مجال التوجّهات التفسيريّة في النقد الجديد [...]. وفي الوقت الذي اعتمد فيه ياوس في بادئ الأمر على علم التفسير (الهرمينوطيقا) [...] كانت الظواهريّة (الفينومينولوجيا) هي المؤثر الأكبر في إيزر. [...] وأخيراً فإن اهتمام ياوس [...] كان متعلقاً [...] بموضوعات لها طبيعة اجتماعية وتاريخية واسعة النطاق. [...] وعلى النقيض من هذا اهتم إيزر بصفة مبدئية بالنص المفرد وبكيفيّة ارتباط القراء به. ومع أنه لا يستبعد العوامل الاجتماعية والتاريخيّة فقد جعلها لاحقة بالمسائل النصيّة الأكثر تفصيلاً، أو مندمجة فيها))[55].

ويرى الناقد محمد عزام أن المصطلحات التي شاعت للتعبير عن التلقّي تحمل معنى واحداً وهي أربعة : (نظريّة التلقي، نظرية الاستقبال، نظرية استجابة القارئ، القراءة). من هنا، نجده يعرّف التلقّي بأنه ((ليس مجرّد استهلاك سلبي للأدب، وإنما هو عمليّة فاعلة في "الفهم" و "التقييم" و "إعادة الإنتاج الأدبي"))[56]. كما يعرّف القراءة بأنها ((مشاركة وتفاعل وإضافة إلى الموضوعات التي يعرضها النصّ))[57]. وبهذا يكون الناقد قد حمّل التعريفين السابقين دلالة واحدة، فلكل من التلقي أو القراءة دور أساسي ومهمّ وفاعل في عملية فهم النصّ وإعادة تصنيعه وتشكيله من جديد.

---

[50] إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب*، ترجمة حميد لحمداني، الجلالي الكدية، فاس، المغرب، 1995، ص7، مقدمة المترجمين.

[51] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، ص 170.

[52] المرجع نفسه : ص 176.

[53] المرجع نفسه : ص 182، [نقلاً عن كتاب ياوس : *التجربة الجمالية والهرمينوطيقا الأدبيّة* *Ästhetische Erfahrung und Literarische Hermeneutik*, Munich : Fink, 1977, p. 50.]

[54] شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص ص 146 ، 147.

[55] هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، ص ص 200 ، 201.

[56] عزّام، محمد : *التلقّي والتأويل، بيان سلطة القارئ في الأدب*، دار الينابيع، دمشق، سورية، ط 1، 2007، ص 79.

[57] المرجع نفسه : ص 79.

أما مصطلح نظرية الاستقبال فيجده ((أكثر ملاءمة في إدارة فندق أو مؤسسة لدى غير المهتمّين بالنقد الأدبي))[1]. ويخلص الناقد إلى أن مصطلح التلقّي هو مصطلحٌ إشكاليٌ، متداخلٌ مع (("استجابة" القارئ، و "تأثير" الكاتب على القارئ... وهذه كلّها تشير إلى تحوّل الاهتمام من الكاتب والنصّ إلى القارئ ودوره في النصّ، وفاعليته في عملية القراءة))[58]، وأن نظريّة التلقي قامت بنقل مركز الاهتمام في سيرورة العمل الأدبي من المؤلف والنص إلى المتلقّي الذي يضفي الحياة على النص بفعل ديناميّة القراءة.

يتجلّى لنا من خلال ما تقدّم تباينٌ في كيفيّة تناول النقّاد لمصطلح نظريّة التلقي، ويعود السبب في ذلك إلى عدم دقّته، وفوضى استخدامه، فضلاً عن عملية الترجمة التي تمت عن لغة وسيطة غير الألمانية، كالإنكليزية والفرنسية.

إن التباين في وجهات النظر وتعدّديّة المصطلحات لم يمنع النقّاد من الإجماع على أن هذه النظريّة قد نقلت مركز الاهتمام من القطب الفني للعمل الأدبي إلى القطب الجمالي، ومن المعروف أن القطب الفني يشير إلى النص كما أبدعه المؤلف، أما القطب الجمالي فيشير إلى القارئ ودوره الفاعل والرئيس في عملية تشكيل معنى النصّ وإعادة خلقه من جديد.

وبعد أن وجدنا أنفسنا أمام كمٍ من المصطلحات أو المفهومات أو المسمّيات، لزم علينا أن نقدّم رؤيتنا لهذا المصطلح وفق دراستنا وفهمنا له، ولكن قبل القيام بهذه الخطوة يمكننا أن نوجز مواقف النقاد من مصطلح نظريّة التلقي كما يلي :

1- رأى بعض النقاد أن هناك صعوبة في رسم الحدّ الفاصل بين الألفاظ التي استخدمت للتدليل على نظريّة التلقي، كالقراءة والاستقبال والاستجابة والتلقي وغيرها، وأن هذه الألفاظ جميعها تنضوي تحت مصطلح التلقي الذي يُعد قاسماً مشتركاً لها، ، والذي يشير إلى تحوّل الاهتمام من المبدع والنصّ إلى القارئ أو المتلقي.

2- نأى فريق منهم عن عمليّة الخوض في القضايا المصطلحية عازين ذلك إلى الإشكالات الكثيرة التي تثيرها عمليّة القراءة، فالدراسات التي قاربت نظريّة التلقي بقيت معلقة في فضاء المصطلح من دون أن تفضي إلى ضبطه وتوحيده.

3- وحصر فريق آخر هذا المصطلح بالمنظّرين الألمان مشيراً إلى أن دلالته تعود إلى فعّالية القراءة، وإنتاج المعنى، وتفاعل القارئ مع النصّ الأدبيّ.

4- ذهب بعضهم إلى تسمية هذا المصطلح بـ "جماليّة التقبّل"، وفي اعتقادنا، إن هذا المصطلح لا يعبّر بشكل حقيقي عن نظريّة التلقي شأنه شأن المصطلحات الأخرى (القراءة، الاستجابة، الاستقبال، التلقي)؛ لأن هذا المصطلح يدلُّ على معنى ((الترحيب والتجاوب في حين أن مفهومي الاستقبال والتلقي ليس من الضروري أن يكونا دالّين على التجاوب أوالترحيب))[59]، فالقارئ قد يستقبل الرسالة الأدبيّة، لكنه قد لا يتقبّلها.

5- أثبت آخرون مصطلح التأثير بدلاً من التلقي أو الاستقبال؛ لأنه رأى في هذا المصطلح التعبير الأمثل لهذه النظريّة؛ وذلك لأن عمليّة القراءة لا تؤدي دورها من حيث استقبال النصّ، بل من حيث تأثيره في القارئ وتأثره به، بعد أن نسبوا هذا المصطلح لـ إيزر، ومصطلح التلقي أو الاستقبال لـ ياوس، ناسين أو متناسين تأكيد كل من

---

(58) المرجع نفسه : ص 79.

(59) لحمداني، حميد : "*مستويات حضور نظريّة التلقي في مجلة علامات في النقد*"، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، المجلد 13، الجزء 50، العام 2003، ص 87.

إيزر وياوس على مدى التلاحم والتداخل والتفاعل بين النصّ والقارئ، وربما يعود موقف هؤلاء إلى تأثّرهم بـ إيزر الذي أعلن في مقدّمة كتابه (فعل القراءة) أن عمله هذا خاص بجماليّة التأثير.

6- أما الفريق الأخير من النقّاد فيرى أن الاختلاف بين التلقّي والتأثير يُعدّ مشكلة حقيقيّة تعترض طريق الباحثين في هذا المجال، والفصل بينهما يكاد يكون مستحيلاً؛ لذلك أشاروا إلى أن مصطلح التلقّي مصطلح شامل يستوعب مشروعي ياوس وإيزر، لاسيّما أن هذين المنظّرين الكبيرين أكّدا على مدى التلازم والتداخل بين التأثير الذي يتعلّق بالبنية النصيّة والتلقّي الذي يتعلّق بالقارئ، فالعلاقة بينهما علاقة جدليّة تحاوريّة، ولا يمكن لمعنى النصّ أن يتحقق إلا من خلال التفاعل والاندماج بين البنية الذهنيّة للقارئ والبنية النصيّة.

بعد هذا الفرش الواسع لقضية المصطلح كما جاءت عند هؤلاء النقاد، وبعد أن رأينا الفوضى وعدم الدّقة في تناوله، ما هو فهمنا لهذا المصطلح ؟

إننا، وبشكل عام، نرى أن إشكالية هذا المصطلح المركّب لا تكمن في الجزء الأول منه بقدر ما تكمن في جزئه الثاني، إذ إن الأغلبيّة اعتمدوا الشق الأول (نظريّة)، في حين كانت الاختلافات والفوارق تدور حول الشق الثاني، ومع ذلك فإن ((كلمةالتلقي [...] سواء أكانت منفردة أم في واحدٍ من أشكالها المركّبة الكثيرة، كانت هي مفتاح الاهتمامات النظريّة))[60] في الربع الأخير من القرن المنصرم.

من هنا، نقترح تثبيت مصطلح نظريّة التلقي لأن لفظة (التلقّي) كانت القاسم المشترك بين النظريّات النقديّة؛ وبذلك نتّفق مع الناقد عز الدين إسماعيل في استخدام لفظة (التلقّي) لأنها الأقرب -كما ذكرنا سابقا- إلى الدلالة المقصودة، وهي تلقّي القارئ للنصّ الأدبيّ.

إن التحديد الشامل لنظريّة التلقي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال اندماج أو انصهار كلٍّ من مشروعي ياوس وإيزر، فكلاهما مكمّل للآخر، ولا يمكن الفصل بينهما على الإطلاق. صحيح أن إيزر أكّد في مقدّمة كتابه (فعل القراءة) أن عمله هذا خاص بنظريّة التأثير، غير أنه لم يجرّد التأثير من بُعد التلقي، كذلك ياوس لم يجرّد التلقي من بُعد التأثير، وكنا قد أوضحنا ذلك في الصفحات السابقة. فلماذا الفصل بين ياوس وإيزر أو بين التلقّي والتأثير إذا كان كل منهما قد أكّد في غير مرّة على أهميّة التداخل والتلاحم والتفاعل والتجادل والتبادل... بين التلقّي والتأثير ؟!

لذا لا بدّ من تضافر وتداخل كل من التلقي والتأثير حتى تكون نظريّة التلقي مثمرة؛ ولذلك سنتبنّى وجهة النظر التي تقول بضرورة التوليف بين مقولتي التلقي والتأثير؛ لأن التوليف بينهما أمر ضروري ((للإمساك بالعلاقة التواصليّة الجدليّة التي تقوم بين النص والقارئ؛ لأنه كلّما سيطرت إحدى المقولتين انطمست الأخرى، فتضيع علاقة التفاعل والتبادل بين القطبين والتي تريد جماليّة التلقي تسليط الضوء عليها بالضبط [...]. وهذا التفاعل [...] هو الذي منع جماليّة التلقي من أن تكون نظريّة للتلقي الخالص، أو نظريّة للتأثير الخالص، ومنعها من التركيز على النصّ وحده أو التركيز على المتلقّي وحده، فكانت في الوقت نفسه تنطلق من النصّ ومن المتلقّي وتحاول الإمساك بالتفاعل القائم بينهما، أي بين التأثير والتلقّي))[61].

---

(60) هولب، روبرت : *نظريّة التلقي*، ص 31.

(61) شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة*، ص 149.

الخاتمة:

وبعد، يمكننا القول : إنّ الخوض في قضية المصطلحات أمر شاق وعسير، غير أن العمل على توحيدها ومحاولة ضبطها وتحديد مفهوماتها أمر ضروري ومهمّ للباحثين في مجال النقد والأدب؛ لأنّ ذلك سيفضي بالتأكيد إلى فهم واضح لأية نظرية تفد إلينا من الخارج، ونتيجة لهذا الفهم سنكون بموقع الفاعلين لا المنفعلين، والمتلقين الإيجابيين لا السلبيين؛ إذ ما الفائدة من اجترار النظريات الغربية إن لم نتمكن من الإفادة منها بما يخدم أنماط الإبداع في عالمنا العربي؟

المراجع:

القرآن الكريم.

1. إبراهيم، نبيلة : *"القارئ في النص، نظرية التأثير والاتّصال"*، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 5، العدد 1، العام 1984.
2. إيزر، فولفغانغ : *فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)*، ترجمة حميد لحمداني، الجلالي الكدية، فاس، المغرب، 1995.
3. إيزر، فولفجانج : *"آفاق نقد استجابة القارئ"*، ترجمة أحمد بو حسن، *في كتاب نظرية الأدب، القراءة، الفهم، التأويل*، نصوص مترجمة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2004.
4. إيغلتون، تيري : *نظريّة الأدب*، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1995.
5. خضر، ناظم عودة : *الأصول المعرفيّة لنظريّة التلقي*، دار الشرق، عمّان، الأردن، ط 1 1997.
6. السعافين، إبراهيم : *"جماليات التلقّي في الرواية العربيّة المعاصرة"*، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 16، العدد 3، العام 1997.
7. شرفي، عبد الكريم : *من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة*، منشورات الاختلاف، الجزائر، الجزائر – الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
8. شيفْريل، إيف : *"دراسات التلقّي"* في كتاب : *في نظريّة التلقي*، ترجمة غسان السيّد، دار الغد، دمشق، سورية، ط 1، 2000.
9. عبد العظيم، حاتم : *"النص السردي وتفعيل القراءة"*، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلّد 16، العدد 3، العام 1997.
10. عبّود، عبده : *الأدب المقارن مشكلات وآفاق*، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سورية، 1999.
11. عزّام، محمد : *"النص المفتوح، التفكيك أنموذجاً"*، الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، العدد 398، عام 2004.
12. عزّام، محمد : *التلقّي والتأويل، بيان سلطة القارئ في الأدب*، دار الينابيع، دمشق، سورية، ط 1، 2007.
13. عليمات، يوسف محمود : *"بلاغة الانتظار بين التأويل والتلقي"*، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، المجلد 12، الجزء 46، العام 2002.

14. كيرزويل، أديث : *عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو*، ترجمة : جابر عصفور، وزارة لإعلام، بغداد، العراق، 1985.

15. لحمداني، حميد : *"مستويات حضور نظريّة التلقي في مجلة علامات في النقد"*، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، المملكة العربيّة السعوديّة، المجلد 13، الجزء 50، العام 2003.

16. المبارك، محمد : *استقبال النصّ عند العرب*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999.

17. مجموعة من المؤلفين : *المعجم الوسيط*، مجمع اللغة العربية، مصر، ط 3، 1993.

18. ملياني، محمد : *"تلقّي النص الأدبي بين التأسيس والآفاق"*، الموقف الأدبي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سورية، العدد 403، العام 2004.

19. ابن منظور الإفريقي المصري، جمال الدين محمد بن مكرم : *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 3، 1994 .

20. هولب، روبرت : *نظريّة التلقي، مقدّمة نقديّة*، ترجمة عز الدين إسماعيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي بجدة، رقم السلسلة 97، ط 1، 1994.

21. الواد، حسين : *"من قراءة "النشأة" إلى قراءة "التقبّل""*، مجلة فصول، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 5، العدد 1، العام 1984.

22. ياوس، هانس روبرت : *جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي*، ترجمة رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط 1، 2004.